ASJP
Algerian Scientific Journal Platform
مجلة التواصلية
ISSN 2437-0894- EISSN 6202-X537
HTTPS://WWW.ASJP.CERIST.DZ/EN/PRESENTATIONREVUE/294
المجلد: 7 0 / العدد: 20 (2021) ص: 97 /110

# تجليات المقاومة في أشعار توفيق زيّاد،

# *Resistance themes in Tawfiq Amin Ziad's poems.*

أ. حسين سليمى
جامعة الخليج الفارس، بوشهر (ايران)
radvin_13914@yahoo.com

**معلومات المقال**

تاريخ الارسال:
2021/02/13
تاريخ القبول:
2021/05/24

**الكلمات المفتاحية:**
- ✓ الأدب المقاوم:
- ✓ توفيق أمين زيّاد:
- ✓ حب الوطن:

**الملخص:**

إن المقاومة والصمود تعدّ من بين الموضوعات التي طُرحت في أدب مختلف الشعوب والأعراق من قديم الزمان، وألّفت العديد من الأعمال الأدبية في هذا المجال، إلا أنّ الشعر المقاوم نال مظهرًا خاصًا في القرن الماضي.

وإنه ظاهرة بارزة للأدب المقاوم الحديث في البلدان التي تأثرت بصورة مباشرة بالحكومات الاستعمارية الغربية وعانت من خسائر فادحة جرّاءها. إن توفيق زيّاد (1994م – 1929م) من الشعراء المعاصرين العرب الذي تجلّى الأدب المقاوم في مؤلفاته بصورة جليّة. ولقد هيّأ نضال الشعب الفلسطيني ضد المحتل الصهيوني والخونة الداخليين للشاعر أرضية غنية وخصبة في تناول مضامين المقاومة والصمود. فتسعى الدراسة الحالية تحليل مضامين المقاومة للشاعر في قصائده. وتكون طريقة العمل في هذا البحث، وصفية وتحليلية وقد تم إجراؤها بطريقة الرجوع إلى المصادر المكتوبة في جمع البيانات. وإن حبّ الوطن، والدعوة إلى النضال، ومدح الشهادة، ورسم ظروف الحرب، من أهم موضوعات الشاعر في إنشاد قصائد المقاومة، وقد عُرضت النتائج التي حُصل عليها في النهاية بصورة جداول ومقارنة.

***Article info***

*Received*
*2021/02/03*
*Accepted*
*2021/05/24*

**Keywords:**
- ✓ *Resistance Literature:*
- ✓ *Tawfiq Amin Ziad:*
- ✓ *Patriotism:*

***Abstract :***

*Resistance and withstanding is one of the topics that has been discussed in the literature of various nations and ethnic groups for a long time and many literary works have been written in this field, but withstanding poems have found a special appearance in the last century. The manifestation of contemporary resistance literature is in countries that have been directly influenced by the colonial governments of the West and have suffered great losses. TawfiqZiad (1929- 1994), a contemporary Arab poet, is one of the poets whose resistance literature has a special expression. The struggle of Palestinian people against Israeli occupiers and internal traitors gave the poet a rich and fertile ground in dealing with resistance literature themes. The present study tries to analyze the themes of the poet's poems on resistance. The method in this article is descriptive-analytical and has been done in a library method in collecting data. Patriotism, invitation to struggle, praise of martyrdom, are among the most important poet's themes in composing resistance poems. The obtained results are presented in the end in the form of a comparative table.*

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

**مقدمة:**

ومنذ أن استخدمت الصهيونية، بدعم من الدول الغربية، كل قوتها لفرض سيطرتها على فلسطين، تمكّنت تدريجياً من احتلال أجزاء من هذه الأرض وحوّلت سكانها إلى مواطنين من الدرجة الثانية "خدم اليهود".[1] أمّا الذين لم يتحملوا هذه المهانة فإما أنهم لجأوا إلى المخيمات أو نزحوا إلى البلدان المجاورة، ولم يتبق سوى جزء صغير منهم في الأراضي المحتلة. ومنذ ذلك اليوم حتى يومنا الحاضر، أصبحت هذه المأساة موضوعًا منتشرًا للأدب، وخاصة الشعر الفلسطيني، ونشأ شعر المقاومة الفلسطينية من الشعر الفلسطيني المعاصر.

ومن نتائج احتلال فلسطين منذ عام 1948 للميلاد وما بعد ذلك التاريخ، هو انعكاس أبعاد مختلفة من الاستبداد والعنصرية على المستويين الاجتماعي والسياسي في الأدب الشعري لهذه الأرض. ويشكل التهجير والعنف والحرمان والأحداث المأساوية التي فُرضت على الشعب الفلسطيني بعد هذا العام، مضامين الأدب المقاوم لهذه الفترة. ولقد بنى شعراء المقاومة في شعرهم وطنا مجازيًا ومثاليًا حيث سكنوا فيه وزرعوا في أرضهم بذور المقاومة والانتفاضة والأمل.[2] قد نثرت هذه الظروف والأحداث بذور أدب الانتفاضة والمقاومة في تراب وأرض فلسطين، وكان لشعراء هذه الأرض وأدبها دور كبير في تخصيب هذه البذور. كما كان للشعراء والأدباء الفلسطينيين، باستخدام المضامين التي تتعلق بمظلومية وانتفاضة الشعب، أثر هام في نشر ثقافة المقاومة وحرية فلسطين وفضح طبيعة الصهاينة، فقد ناهضوا الاضطهاد والاستبداد بشعرهم وقلمهم، وصوروا مسائله ومصاعبه. وقد كان لشعر المقاومة الفلسطينية دور هام في تجسيده للظروف الخاصة بساحات القتال ضد المعتدي. «دور الأدب الفلسطيني المقاوم بصورة عامة هو إثارة وتعبئة وخلق وعي عرقي ووطني، وتوجه الفكر العام نحو الانتفاضة مما يساهم في النضال.»[3] حيث أن أحداث فترة النضال وموضوع الحرب بأبعادها ونطاقها الوسيع، فتحت رؤية جديدة في أدب هذا الوطن وخلقت صورًا حديثة في شعر المقاومة وصمودها.

إن الأدب المقاوم سلاح في أيدي الشعراء والكتاب الملتزمين لكلّ أمة لمحاربة الظلم والجور، وكذلك للاستغاثة والمطالبة بحقوق المظلومين. يتصف هذا النوع من الأدب في كل بلد، وفقًا للظروف السائدة، بسمات فريدة في موضوعات قد تختلف عن بعض موضوعات الدول الأخرى. يعتبر عباس خضر الناقد والكاتب العراقي، الاستعمار والاستغلال بشكليه

[1] كنفاني، 1356: 148.
[2] بدوي، 2010: 66-67.
[3] كنفاني، 1968: 5.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

القديم والجديد، واغتصاب السلطة والأرض، وانتهاك القيم الدينية والوطنية والتاريخية والثقافية، وكذلك سلب الحريات الفردية والاجتماعية من أهم العوامل في تشكيل الأدب المقاوم.[1]

بناءً على ذلك، وبالنظر إلى القواسم المشتركة لعوامل التشكيل، يمكن القول إن الأدب المقاوم هو أدب عالمي لا ينتمي إلى أمة أو بلد معين؛ لأنه كلما وأينما كان هناك اضطهاد وحرب، ستكون هناك مقاومة في جميع المجالات، وهذا الأمر يصدق كذلك في الأدب. على سبيل المثال، لم يعد الأدب المقاوم الفلسطيني اليوم محصوراً على فلسطين، فهناك شعراء وكتاب مختلفون يعالجون هذه القضية بغض النظر عن الجنسية أو اللغة أو الدين.

يرى غالي شكري الناقد العربي البعيد الصيت، أن الأدب المقاوم بمعناه الحديث نشأ بعد الحرب العالمية الثانية، ومع سيطرة وهيمنة الدول الأمريكية والأوروبية المنتصرة على العالم، والعوامل والأحداث التي حدثت في القرن العشرين الميلادي، كتشكيل الكيان الصهيوني ومهاجمته لفلسطين وسوريا ولبنان والأردن ومصر، والثورة الإسلامية الإيرانية هي من جملة العوامل التي أصبحت نقطة تحول في الأدب المقاوم.[2]

يحاول المقال الحالي أن يدرس ويحلّل مضامين المقاومة في شعر توفيق أمين زيّاد (1994م – 1929م) الشاعر الفلسطيني المعاصر. وإن تحديد أهداف توثيق زيّاد من استخدام مضامين المقاومة من أهداف هذا البحث.

**تعريف الأدب المقاوم:**

قيل في تعريف الأدب المقاوم: «إن الأدب المقاوم يطلق على مجموعة من المؤلفات التي تتحدث عن بشاعة وكوارث الظلم الداخلي أو العدوان الخارجي في جميع المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية بلغة أدبية. وقد تكتب بعض هذه الأعمال الكارثة قبل حدوثها، وبعضها أثناء الحرب أو بعد مرور فترة من الزمن»[3]؛ بعبارة أخرى، «إن الأدب المقاوم هو مكافحة كل أشكال الاستعمار والظلم، حيث يحلّ الكلام محل السلاح والبنادق، وفي حين يقتصر تأثير السلاح والبنادق على ميدان الحرب، إلا أن أثر كلام الأدب المقاوم مستمر دائما»[4]. كما أن «الأدب المقاوم بمعنى الحرب مع الأجنبي هو انعكاس نفسي وروحي لجيل يقف أمام حدث تاريخي ويظهر مشاركة وقيادة ذلك الجيل ضده.»[5]

[1] عباس خضر، 1968: 54-50.
[2] راجع؛ شكري، 91 :1366. 105.
[3] غالى شكرى،90 :1-71119
[4] قصي حسين ، 7219م: 21.
[5] كاكاي،1380: 9.

Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وليس هدف الشاعر والكاتب ورسالتهما في الأدب المقاوم إنقاذ أمتهما وبلدهما فحسب، بل لهذا الأدب له رسالة عالمية وهي إيصال صرخة الأمم المظلومة إلى مسامع العالم وشعوبه، وكذلك مواجهة عالمية ضد الظلم في المجتمعات البشرية. إضافة إلى ذلك، «إن الأعمال التي كُتبت كأدب مقاومة، إمّا خلقها المحاربون الذين كتبوا بعد انتهاء الحرب عن آلامهم ومعاناتهم وآلام بني جلدتهم بصورة قصائد وقصص و...، وإمّا هي نتيجة لعمل كتّاب أمضوا بعض الوقت في جبهة الحرب، أو تم تأليفها من قبل أشخاص لم يسبق لهم الظهور على الساحة، لكنهم تلقوا معلومات وتفاصيل من الأشخاص المتواجدين فيها»[1].

## 2.1. طرح الإشكالية:

إن الأراضي الفلسطينية منذ سنوات وهي تحت الاستعمار، وما زالت في حالة حرب، ونتيجة لذلك تأثر أدبها بهذا الموضوع، وحاول كثير من الفلسطينيين توظيف أشعارهم في حب الوطن، ومقاومة الظلم، والوحدة، والنضال. وتعدّ جميع هذه الموضوعات كتجلّيات للأدب المقاوم. ويمكن لنا أن نشير من بين هؤلاء الكتاب في فلسطين إلى الشاعر المعاصر توفيق زيّاد.

وُلد الأدب المقاوم في فلسطين متزامناً مع احتلال الصهاينة لهذه الأرض. وقد ناضل الشعراء الفلسطينيون في ذلك الوقت إلى جانب الشعب، وصبّوا جام غضبهم وكراهيتهم تجاه المحتلين بصورة شعر، وحوّلوا الانتفاضة ضد الاحتلال إلى قضية عابرة للحدود، حيث يرى رجاء نقاش، مادام الشعراء الفلسطينيون يستخدمون فنهم لكي يصل صوت هذه المأساة إلى مسامع العالم، لن يسمحوا بأي تحريف في القضية الفلسطينية، وإنها لن تنسى بمرور الوقت فحسب، بل ستزداد حرارة نارها.[2]

إن توفيق أمين زيّاد شاعر فلسطيني معاصر مثل كل معاصريه انضم إليهم في تحقيق حقوق شعبه، ودخل ساحة النضال ودعى إلى الجهاد والشهادة وحب الوطن و... في أشعاره. بناءا على هذا، فإن السؤال الأساسي الذي تسعى هذه الدراسة للإجابة عنه هو كالآتي:

ما هي أهم مضامين المقاومة في شعر توفيق زياد وما هي طرق التعبير عنها؟

---

[1]- رشيد، 1965: 21.

[2]- راجع؛ النقاش،1972 م:302، 20.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

### 3.1. سابقة البحث:

هناك مقال في مجال الشعر والأدب الفلسطيني المقاوم وحول شعر وفكر توفيق أمين زياد تحت عنوان "المقاومة في شعر توفيق أمين زياد" لسيد محمد رضّي مصطفوي نيا وآخرون ، نُشر في مجلة الأدب المقاوم لجامعة «شهيد باهنر كرمان» في العدد الثالث والرابع عام 1389 و1390 للهجرة الشمسية. وقد تمت دراسة مضامين المقاومة التي نظم عنها الشاعر أشعاره في هذه المقالة. وهناك أطروحة بعنوان «بررسي تطبيقي نمادهاي پايداري در شعر توفيق أمين زيّاد ونصرالله مرداني» للمؤلفة «وجيهة سروش» وبإشراف «علي سليمي» نوقشت في جامعة «رازي» بـ«كرمانشاه». لكن حتى الآن، لم يتم كتابة مقال بعنوان دراسة مضامين المقاومة في شعر توفيق زياد، وهذا المقال هو أول بحث في هذا المجال.

### 4.1. ضرورة البحث:

كما أشرنا سابقًا، إن الأدب المقاوم هو أدب عالمي وديناميكي وحيّ، أي يتغير وفقًا للظروف المكانية والزمانية، ويسعى إلى تغطية جميع جوانب الحرب أو الثورة لتكون فعالة بما يتماشى مع أهدافه. والآن، إذا كان هذا الأدب حول بلد يرتبط جميع تاريخه بالمقاومة والنضال، فسيكون الوضع مختلفًا. تهدف الدراسة الحالية بالنظر إلى العلاقة الوثيقة بين تاريخ فلسطين والمقاومة والنضال، وكذلك ريادة شعراء هذا البلد في طرح وشرح مضامين المقاومة في قصائدهم، إلى دراسة مضامين المقاومة في شعر توفيق أمين زياد، الذي يُعدّ من كبار الشعراء في مجال الأدب المقاوم الفلسطيني. ونظراً إلى المكانة الرفيعة التي يحتلها هذا الشاعر في الأدب الفلسطيني المعاصر وكذلك في الأدب المقاوم لهذا البلد، فإن أهمية وضرورة هذا البحث تظهر ظهوراً جلياً.

## 2. توفيق أمين زيّاد:

إن توفيق أمين زياد شاعر وكاتب فلسطيني من مواليد عام 1929 للميلاد في مدينة ناصرة الفلسطينية. درس في البداية في مسقط رأسه ثم ذهب إلى موسكو لدراسة اللغة الروسية. ثم بعد ذلك دخل ساحة معركة عنيفة ليحقق حقوق أمته، واغتيل عدة مرات كانت أفظعها عام 1977 للميلاد، وقد نجى منها بأعجوبة، كما تعرّض منزله للانتهاك عدة مرّات.[1] وكان رئيس بلدية مدينة الناصرة من عام 1975 حتى وفاته. وبالإضافة إلى الترجمة من اللغة الروسية وكتب الشاعر التركي الشهير «ناظم حكمت»، فإن توفيق زياد لديه أيضًا عدد من المجموعات الشعرية. كما أصبحت بعض قصائده عن

[1] – راجع؛ الموسوعة العربيّة،2000 م:0 653363.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

المقاومة في فلسطين جزءًا من الميراث الحي لقصائد المقاومة الفلسطينية.[1] وقد تُرجمت كثيراً من قصائده إلى لغات مختلفة، وقام عدد من الباحثون العرب وغير العرب بدراسة وتحليل أعماله.

ومن أعماله؛ أشد على أياديكم، وإدفنوا أمواتكم وانهضوا، وأغنيات الثورة والغضب، وسجناء الحرية وقصائد ممنوعة أخرى، والسيف والنغم، وشيوعيون، وكلمات مقاتلة، وعمان في أيلول، وتهليلة الموت والشهادة، وعن الأدب الفلسطيني، ونصراوي في الساحة الحمراء، صور من الأدب الشعبي الفلسطيني، وحال الدنيا.[2] وكان توفيق زيد أقل نظماً للشعر في الخمسينيات وكان يعتبر شاعرًا قليل الشعر، ولكنه لاحقًا ومع تزايد جرائم الاحتلال الإسرائيلي ضد الأمة الفلسطينية، فارت مشاعره الشعرية، وصوّر في قصائده مصائب هذه الأمة ونضالاته المستمرة، والمكافحة المستمرة للظلم والجور وعدم السماواة.

**بحث:**

## 3-1 مضامين المقاومة في شعر الشاعر:

بالنظر إلى تأليفات توفيق زياد الشعرية، يمكن رؤية كثرة مضامين المقاومة بوضوح. وقد حاول الشاعر أن يؤدي واجبه في طريق هذا النضال حسب الظروف، بتوظيف ذوقه وموهبته الشعرية. وهناك موضوعات في قصائد الشاعر مثل: الدعوة للقتال والدفاع عن الأرض، وعدم التطبيع مع الظا لم، والخوف من الحرب، وظروف البلاد أثناء الحرب، والأمل بالمستقبل، وظهور المنقذ. وسيتم طراسة هذه المضامين وتحليلها في هذا البحث.

## 2.3. دراسة مضامين أشعار توفيق زياد وتحليلها:

إن العديد من المواضيع في تأليفات توفيق الشعرية، هي مواضيع وموضوعات المقاومة والنضال. ولقد شعر الشاعر بأ لم ومعاناة الشعب الفلسطيني خلال المقاومة جيداً، وصوّرها بكلماته المؤلمة والملحمية. وسندرس فيما يلي، ونحلل هذه المضامين من خلال ذكر أمثلة من شعر توفيق زياد.

### 1.2.3. الدعوة للنضال والدفاع عن الأرض:

إن الوطن مقدس لكل إنسان حر، وحبه أيضًا يدلّ على علامة إيمان. لذا من الواضح أن شاعر الأدب المقاوم يحب الوطن ويدافع عنه بقلبه وروحه. ويستخدم توفيق زياد الرمز في أكثر الأحيان للتعبير عن مضامين المقاومة، وفي الواقع،

---

[1] - راجع؛ الجيوسي، 1997، J 1: 265.

[2] - صدّوق، 2000م: 136.135.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)



TAWASOLIA JOURNAL مجلة التواصلية ISSN 2437-0894- EISSN 6202-X587

تلعب هذه الرموز دورًا رئيسيًا في ترسيم مضامين المقاومة بشكل أفضل في قصائده. فيخاطب العدو في قصيدة "أشد على أياديكم" ويقول:

«حَمَلتُ دَمِي عَلىَ كفِّي

كردموَ مَا نكستُ أعَلاَمِي

وضَعتُ العُشبَ فَوقَ قُبُورِ أسَلافِي[1]»

إنه ضحّى بحياته في الدفاع عن بلاده، ودعا العدو للقتال. وبالرغم من أن الشاعر يستخدم المخاطبة الذاتية أو المونولوج في هذه الآيات ويعبر عن نفسه، إلا أنه في الحقيقة أظهر جميع الشعب الفلسطيني، وهو مستعد للقتال والدفاع، في ذاته الفردي، حيث يقول: «مَا نكستُ أعَلاَمِي»، وهو يدلّ على العناد في وجه الظلم والاستبداد. كما يرى أن وضع الزهور على قبور أجداده يدلّ على مواصلة طريقهم في مناضلة العدو حتى الشهادة.

### 2.2.3. المقاومة على المقاومة:

يعتقد توفيق زياد أن الدفاع ضد الظالم والنضال والصمود يجب أن يستمر حتى تحقيق النصر النهائي. ويعبّر عن عقيدته في قصيدة «هنا باقون» كما يلي:

«نجُوعُ... نعَرِى... نتَحَدِّى

ننشدُا لأشعار

ونملأ الشَّوَارِعِ الغَضَابَ بِالمظَاهِرَات

ونملأ السُّجُونَ كبرياَء

ونصَنَعُا لأطَفَالَ...جِيلاً ثائِراً...ورَاَءَ جِيل

هُنَاب اَقُون/

ونَزرعَ الأفَكارَ، كالخَمِيرِ فِي العَجِينِ

---

[1]- زيّاد، 1994م، 30.



Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

هُنَا لنَا مَاضٍ وحَاضِر ومَستَقبَل[1]

إن المقاومة قضية والاستمرار فيها قضية أخرى. فمن الجيد بداية طريق مقدس في حد ذاته ، إلا أن الصمود والوصول به إلى النتيجة المطلوبة هو الذي يحقق الهدف. وقد أكد توفيق زياد دائماً في قصائده عن المقاومة على هذا الأمر، وبذل كل ما بوسعه حتى لا يقف مجهوده حتى الوصول إلى الهدف المطلوب. النجاح الكبير الذي حققته قصائده المقاومة على ذلك وبذل قصارى جهده للتوقف عن المحاولة حتى تتحقق النتيجة المرجوة. وكأن توفيق زياد يتكلم عن المقاتلين وبلغتهم.

### 3.2.3. وصف ظروف الحرب:

ولمس توفيق أمين زياد، كلاهما، الحرب وخرابها وتشردها عن كثب، وذاق الطعم المر لمعاناة وطنه وألمه، وقد صوّر هذه القضية جيدًا في أشعاره حتى تكون سكينة لقلوبهم المضطربة، وتُسجّل لأجيال المستقبل وتبقى لكي تظهر مظلومية أمتهم.

واستخدم توفيق زياد العناصر الطبيعية للتعبير عن أوضاع بلاده في زمن الحرب، وحاول في قصائده إيقاظ العقول الكثيرة النسيان والضمائر النائمة، أولئك الذين في البرلمانات والمنظمات يتكلمون دائماً عن السلام في هذه الأيام، لكنهم لا يعملون به أبدًا. ويتعجب الشاعر بأن اليوم، حسب دعاة حقوق الإنسان، هو زمن السلام، لكن لا أحد يرى فلسطين التي هي أسيرة حرب، ولا أحد يرى معاناة وألم شعبه.

«عَلَيَا لصُّلبَانِ مَسبيةّ

بِلادِى زهَرَةُ الدُّنيا وَ عُودُ النِّد

عَرُوسٌ فِي زمَانِ السَّلمِ مَسبيةّ

دَمَايَاهَا حَمَايَاهَا، وَ دَمعُ القَهرِ فَوقَ الخَدّ

أحَاطُوهَا بِأسلاك العُبُودِيةِ

وَ شَادُوا بيَنَهَا سَدّاً وَ بينَ الشّمسِ شَادُوا سَدّ »[2]

[1] زيّاد، 1994م: 10.

[2] زيّاد، 1994م: 23.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

في هذه القصيدة، يندهش توفيق زياد بصمت العالم مع ذكر تناقضات كالسلام والسجن، والشمس والسد، والحرية والأسر، بالإضافة إلى وصفه للظروف في فلسطين.

بنظرة واحدة على توصيفات الشاعر يتضح جيدا أنه وصف تفاصيل آثار الحرب وتأثيرها على الناس وصفاً دقيقاً. ولقد عبّر توفيق أمين بشكل عام عن آلام شعبه ومعاناته، وغالبا ما كان قد يسعى إلى تنوير العقول وفضح الصمت المثير للدهشة للمطالبين بالسلام وحقوق الإنسان. وكان يشير مباشرة في بعض الأحيان إلى الحرب وتدميرها ودمارها وإرهابها، ويرى الحرب بمثابة الطبقة التحتية للأحداث التي تسببت في إخفاقات المجتمع ومعاناته المريرة. ولعل السبب يرجع إلى أن الصراع في فلسطين وفي بيئة الحرب قد أصبح صراعًا غير مباشر، ومُنهِكاً، ومُملًا احتل الفكر الفني لتوفيق زياد بأكمله.

### 4.2.3. الدفاع عن مظلومي العالم:

من خصائص الأدب المقاوم البارزة هو طابعه العابر للحدود والدفاع عن المظلومين في العالم.

وقد نشاهد في قصائد توفيق أمين زياد، هذه الميول البشرية والاهتمام باضطهاد الأمم المظلومة. فقد يصف الشاعر في إحدى قصائده تحت عنوان «عثمان»، أحد أصدقائه الذين فروا خفيةً من بلده السودان، وذهب إلى موسكو ، ويقول:

«إنِّي اذكرُ عُثمانَ صَديقي

مَرَّةً عندَ رصِيفِ النَّهرِ في مُسكو

مسكوتنَزَّهنَا سَويةّ

وَ وقَفنَا فجَأةً عندَ سِيَاجٍ

صَدَمَتن ا طفلَ ةٌ، كالمرمَرِ المِصقُ ولِتصطَادُ الفَراشَةَ

فَإذَا عُثمانُ يبَكى، أو يكادُ...

بودإنَّي أذكرُ مِمَّا قالَهُ أخرَ جُملَة

قالَ لِي: إسمَ

إنَّي أعطِى حَيَاتِي كلهَّا

حَتَّى أرىَ السُودَان

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

يُبْنَى مِن جَديدِ

صَوتهُ كانَ...

عَميقا

وجَريحاً

وَ سَعيد![1]

إنّ الصورة التي يقدّمها توفيق زيّاد هنا تدلّ على ميوله ومعتقداته البشرية، العقائد التي هي خالية من أي حقد أو عداء تجاه الآخرين. ويصف الشاعر إنسانًا يتذكر وطنه بمجرد أن يرى طفلة صغيرة بينما تصيد فراشة. لا نقاش في هذا سواء حدث بالفعل أم لا، فالركيزة هنا هي أن الشاعر يتذكر في قلبه آلام ومعاناة الأمم الأخرى، ويتصوّر في ضميره بنحوٍ ما، شعورًا مشتركًا وألمًا مشابهًا بينه وبينهم. وفي هذا الصدد، عبر الشاعر بمشاعره بالإنسانية إلى ما وراء حدود بلاده، واستخدم قلمه للتعبير عن آلام الشعوب المظلومة الأخرى في العالم. إلا أن نظرة عميقة على أشعاره، تكشف لنا أن الشاعر لديه نظرة واسعة وشاملة؛ لأنه يتفاعل مع الأمم والأعراق الأخرى خاصة الدول العربية المختلفة، وكذلك مع مقاومتها.

### 5.2.3. الأمل بالمستقبل:

إن الأمل المستقبل من الممكن أن يكون مفتاح النصر في زمن الحرب حيث تكون الشدائد والأزمات منتشرة. وفي هذه الأثناء، فإن الشاعر هو الذي يجب عليه أن يجعلَ الأمل حيا في قلوب الناس والمقاتلين من خلال تأليف قصائد ملحمية، وتصوير غد مشرق، والسلام والطمأنينة والازدهار، حتى تناضل الناس آملين بالوصول إلى غد أفضل والنصر، أو يضحّوا بأنفسهم من أجل ترسيم غد أفضل. وكان توفيق زياد يدرك جيدًا أهمية هذا الأمر، فقد حاول رسم مستقبل أفضل للناس بتوظيف لغته وقلمه بشتى الطرق.

في الحقيقة، إنّ توفيق زيّاد مومن بمستقبل مشرق، سيكون النصر النهائي للشعب الفلسطيني. و مازال يأمل بالمستقبل بالرغم من الهزيمة المهينة للعرب على يد الكيان الصهيوني عام 1967 للميلاد، وينشد هكذا:

«كبوَةٌ هَذى وَ كم

[1] زيّاد، 1994م: 100.



Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

يحُدِثُ أن يكبُو الهَمامُ

مِن أجلِ عَشرٍ لِلأمامِ[1]

وكذلك يخاطب الصهاينة ويقول:

«لاَ تقُولوُا لِي: انتَصَرنا...

إنَّ هَذَا النَّصرَ شَرٌّ مِن هَزيمَةَ

نحَنُ لا ننَظرُ لِلسَّطحِ، وَ لكنَّا/ نرَى عُمقَ الجَريمَة

لا تقُولوُا لِي: انتَصَرنا...

انَّا نعَرفُهَا هَذَي الشَّطَا

إنِنَّا نعَرفُهُ الحَاوِي الذِّي// كهيعُطِى الإشِارَةَ

إنِهُّ سَيَّدُكم . يلَهَثُ

فِي النَّزعِ الأخِيرِ

إنِنَّا نسَحَبُهُ . مِن أنفِهِ . سَحباً

إلِىَ القَبرِ الحَقيرِ[2]

كما مرّ ذكره، إنّ توفيق زياد متفائل بالمستقبل بعد الحرب، ، ويأمل بهزيمة العدو والعودة إلى الوطن في المستقبل، وقد عبّر عن هذا الموضوع باستخدام رموز جميلة وحيوية .

### 6.2.3. الإيمان بالمنقذ:

إن الإيمان بالمنقذ، بغض النظر عن طابعه الأيديولوجي، يخلق الأمل بالمستقبل لدى الناس، ويضاعف حماسهم واشتياقهم للنضال. ويجب على الشاعر الذي يحارب شعبه ضد الظلم والقهر، أن يخلق الإيمان بهذا المعتقد في قلوب الناس بأن

[1] زيّاد، 1994م: 40.

[2] السابق: 23.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

كفاحهم يتماشى مع النضال الذي سيخوضه المنقذ الموعود. ومن ناحية أخرى، فإن الإشارة إلى المنقذ في أشعار الشاعر من الممكن أن يرفع من معنويات الشعب ونفسيته.

وكذلك يرى توفيق زياد أن الجميع ينتظر المنقذ الموعود؛ لأنهم بحاجة إليه لصنع السلام. وليس البشر فحست، بل كل الكائنات وأجزاء الكون بحاجة إلى حضوره. يقول الشاعر في قصيدة «المصلوب»:

«أحبّائي

أنا بالورد و الحلوى

وكلّ الحُبَ أنتظرُ

منتظرمأنا والأرض والقمر

وعين الماء والزّيتونَ والزّهر

أنا بالورد والحلوى

و كلّ الحبِّ أنتظرُ

وأرقب هبة الرّيح التّى

كهتأتى مِنَ الشّرق[1]

وظّف توفيق زياد عناصر ورموز ملفتة للنظر ومؤثرة للتعبير عن إيمانه بالمنقذ، فرأى أنّ المنقذ هو مَنجٍ لكل العالم ومخلوقاته وأجزاءه، وصوّر الانتظار بالوعد لظهور المنقذ، استخدام العديد من التعابير والاستعارات. كما قد عبّر عن هذه المسألة مع انتظار الجميع للمنقذ ، وصوّر انتظار الجميع عن طريق بثّ الروح في الجمادات.

[1]- زيّاد، 1994م: 3.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

**النتيجة:**

إن المقال الحالي مخصّص لدراسة تطبيقية للمضامين المشتركة في مجال الأدب المقاوم في شعر توفيق أمين زياد. ومن خلال دراسة ديوان هذا الشاعر ومؤلفاته، يمكن مشاهدة الكثير من مضامين الأدب المقاوم. حيث يمكن القول أن مدى قضايا المقاومة التي تناولها توفيق أمين وسيع جدًا. وكذلك إنّ الاهتمام بالتفاصيل ووصف المشاهد والأحداث بشكل دقيق، يبدو واضحاً وجليّاً جدًا في قصائد توفيق، إلا أنه أحيانًا يشير إلى هذه المواضيع إشارة عامة.

وكان الشاعر في موضوع الرمزية، بسبب هيمنة الرومانسية على أعماله، أكثر ميلًا إلى رموز الطبيعة، ووظّف في هذا المجال الرموز الموجودة في طبيعة أرض فلسطين. ومع ذلك، يُشاهَد أحياناً نقاط ضعف في الاستخدام الفني للرموز في شعره. وكذلك يصرّ في مجال المقاومة والصمود، على الاستمرار في الطريق وعدم الكلل حتى الوصول إلى النتيجة النهائية، ويرى الوصول إلى أفق النصر قريبًا جدًا.

وإن تبحّر توفيق زياد في تحريض المقاتلين وإثارتهم على الانتفاضة والقتال يبدو وكأنه يتكلم نيابة عن المقاتلين وبلغتهم. ويبدو توفيق زياد في تعامله مع الحرب والمسائل المتعلقة بها، وكأنه قد أدرك تلك الظروف والوضع من أعماق كيانه، وهذا يرجع إلى أن الصراعات في فلسطين كانت قد تحولت من بيئة الحرب إلى صراع غير مباشر ومُنهِك ومملّ، وكانت قد تغيرت وانتقلت ساحة المعركة من الجبهات إلى المدن والساحات الثقافية والاجتماعية.

وإن لتوفيق زياد رؤية عابرة للحدود في رأيه بالنسبة للمقاومة، فقد تعاطف مع مظلومي العالم، واعتبر نفسه في صفّهم وشريكًا في حزنهم. أمّا بالنسبة لموضوع الأمل بالمستقبل، فيتفاءل توفيق بالنصر على العدو المحتل في المستقبل، وانتصار الجنس البشري على الحرب ونهاية أي نوع من الحروب والعدوان والنهب على وجه الأرض. وإن الإيمان بالمنقذ كذلك يعدّ من أحد المواضيع المركزية والرئيسية في شعر توفيق زياد، ويرتبط ارتباطًا وثيقًا بمعتقداته الدينية.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

**المصادر والمآخذ:**


اكبري، منوچهر. (بيتا). «***جلوه هاي طبيعت وعناصر آن در اشعار جنگ***»، مجلة ادب فارسي لجامعة طهران. س 2. ش2. صص 725.

امين زيّاد، توفيق (1994م) .***أشد على أياديكم***. ط 2. عكا: مطبعة أبو رحمون.

الجيوسي، سلمى الخضراء (1997م) ***موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر***. الموسوعة العربية للدّراسات والنّشر. ط 1. بيروت/ عمان (اردن): دار الفارس للنّشر والتوزيع.

خضر، عباس(1968م) .***أدب المقاومة***، القاهره: دار الكتاب العربي.

رشيد هارون، هاشم (1965م.). ***الشعر المقاتل في الأرض المحتلة***. بيروت: المكتبة العصرية.

سنگري، محمدرضا (7731). ***ادبيات پايداري و مقاومت***. ط1. طهران: مركز الدراسات الأساسية.

شكري، غالي (1997م) ***أدب المقاومة***. ط1. بيروت: دار الآفاق الجديدة.

دّوق، راضي(2000م). .***شعراء فلسطين في القرن العشرين***. ط 1. بيروت: الموسوعة العربية للدّراسات والنّشر.

كاكائي، عبدالجبار(1398). ***بررسي تطبيقي موضوعات پايداري در شعر ايران وجهان***. ط .1 طهران: پاليزان.

النقّاش، رجاء(1982م) .***أدباء معاصرون***. ط 1. بغداد: دار الحرية.


Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)